بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

• المجتمع الجديد ، هوجديد . فى توجيهه ·· واعتقاده ·· وسلوكه: وليس جديداً بأفراده · فالأفراد بالأمس فى المجتمع السابق . هم أفراد اليوم فى المجتمع القائم . ولهم عهد بعادات الماضى ·· وتأثر بها ، وإن كانت لهم رغبة فى أن يعيشوا فى أوضاع الحاضر . بإيمانهم ·· ووجدانهم، وأن ينتقلوا فى ملاءمة بينهم وبينها ، غير ناظرين إلى ذلك الماضى القريب ، أو البعيد فيه ·

• والفجوة بين المجتمع السابق ، والمجتمع القائم هى فجوة واسعة·· فجوة بين النقيض ونقيضه · فالمجتمع السابق مجتمع مادى ·· والمجتمع اللاحق أو القائم مجتمع إنسانى . أو العكس بالعكس . وقد يكون بين الاثنين مجتمع ثالث آخذ من السابق ، والقائم على السواء ، ويميل إما إلى ماضى ·· أو إلى ماهو حاضر ، حسب قربه ·· أو بعده من طرف دون طرف من المجتمعين المتقابلين .

والمجتمع المادى هو ماكانت الروابط فيه بين فرد وآخر روابط مادية ·· روابط منفعية ومصلحية · أى تقوم على تبادل المنفعة والمصلحة المادية وحدها ·

والمجتمع الإنسانى ماكانت فيه العلاقات بين الأفراد علاقات إنسانية . تقوم على الأخوة ·· والمودة ·· والتعاون ،وراء تبادل المصالح والمنافع . ولكن فى الدرجة الأولى غير مادية .

والمجتمع الذى هو « بين بين » ٠٠ هو المجتمع فى مراحل تحوله من مجتمع مادى ٠٠ إلى مجتمع إنسانى ، أو بالعكس . وعلى حسب انتقاله ، أو على حسب حركته من مرحلة إلى مرحلة : تكون درجة قربه ، أوبعده من أحد المجتمعين المتقابلين .

ـــ والمجتمع الإسلامى هو مجتمع إنسانى : يدعو إلى الروابط الإنسانية بين الأفراد فى الدرجة الأولى ٠٠ كما يدعو إلى تبادل المصالح المادية ، ولكن فى محيط العلاقات الإنسانية .

ودعوة المجتمع الإسلامى هى دعوة لإلغاء ظواهر المجتمع الماضى فى حياة الأفراد ٠٠ وإحلال ظواهر أخرى محلها ٠أو هى دعوة لترك عادات الماضى وانحرافاته فى العلاقة بين الأفراد ٠٠ ولقبول عادات أخرى ومقاييس أخرى فى هذه العلاقة تقوم على العدل ٠٠ والإحسان معاً .

ـــ ومنهج القرآن ، كما نزل تباعاً فى الوحى المدنى . يبتدىء بالتنديد أو بالنهى عن ظواهر المجتمع المادى ، وهو المجتمع الجاهلى ، تمهيداً لإلغاء اعتبارها فى نفوس المؤمنين ٠٠ ثم يتبع ذلك بالأمر أو بطلب ظواهر أخرى ، بدلا منها لتحل محلها ، وتكون عنواناً على المجتمع الإنسانى ، أو المجتمع الإسلامى الجديد ٠

وبين النهى ٠٠ والأمر ، يمر المجتمع الذى آمن : بفترة نفسية ، يضعف فيها اعتبار الماضى البغيض لديه ٠٠ والتهيؤ النفسى الداخلى لقبول الوضع فى العلاقات فى المجتمع الجديد .

وإذ ينهى القرآن فإنما ينهى الذين قبلوا الإيمان بالله وحده ، بعد شركهم ووثنيتهم ٠ أى ينهى المؤمنين الذين يتكون منهم المجتمع الجديد ٠ وهو بنهيهم : يريد أن يستأصل أو يضعف على الأقل : الصدى النفسى الذى خلفته الأعراف ، والتقاليد ، التى تعبر عن مادية المجتمع .

وإذ يأمر القرآن فإنه يأمر هؤلاء كذلك ، دفعاً لنقلهم إلى الوضع الجديد ، وهو الوضع الإنسانى فى العلاقات .

ـــ والجاهلية ـــ أو المادية ـــ طابع لمجتمع معين يتكرر .. إلى يوم البعث . وليست تعريفاً أو تحديداً لفترة تاريخية مرت ، ولم تعد .

والجاهلية إذا وجدت فى مجتمع ما قبل الدعوة الإسلامية .. فإنها توجد بعد هذه الدعوة ، كلما سيطرت ظواهر المادية على الحياة البشرية فى المجتمع فى فترة ما ، بعد ذلك .

فإذا أصبح الإلحاد عقيدة ، وأصبح له أعواناً أقوياء : فإن المادية تكون عندئذ طاغية فى مجتمع الملحدين .. ويكون المجتمع مجتمعاً جاهلياً ، مهما كان له من التقدم العلمى ، أو التقدم الصناعى . لأن جاهليته فى إبعاد الروابط الإنسانية بين الأفراد فيه ، وفى تحكيم المنفعة المتبادلة والمصلحة الشخصية وحدها ، بدلا منها . وهذا المعنى يوجد ، مع وجود التقدم العلمى والصناعى فيه .

ـــ وطالما يبقى المنهج القرآنى فى إطار النهى : فرواسب الجاهلية لم تزل لها آثارها فى تصرفات المؤمنين ، وسلوكهم . وقبل النهى إذا لم يخرج عن مجال التنديد بالظواهر السابقة : فنفوس المؤمنين لم تهيؤ بعد تهيؤاً ملحوظاً : لتقبل النهى عنها ، فضلا عن تقبل الأمر بضدها .

ـــ وتبعاً لذلك لايقال : فى القرآن ناسخ .. ومنسوخ . وإنما يقال : فيه ترتيب زمنى لقبول المستويات المختلفة التى تمثل الأطوار التى يمر بها المجتمع الجاهلى فى تحوله .. إلى مجتمع إنسانى ، أو إسلامى

١ ـــ فيه مستوى التنديد بالأعراف ، والعادات ، والانحرافات السابقة .

٢ ـــ وفيه مستوى النهى عن اتباعها ومباشرتها .

٣ ـ وفيه مستوى الأمر بمباشرة نقيضها ، تماماً :

ـ ومراحل تطور المجتمع الإسلامى هى مراحل تكوينه : من نقطة التحول ٠٠ إلى ظهور تحققه . وكل مرحلة لها طابع معين :

ـ فالمرحلة الأولى فى تطوره يساوقها التنديد فى آيات القرآن بالماضى فى المجتمع السابق .

والمرحلة الثانية فى هذا التطور يساوقها النهى عن هذا الماضى .

والمرحلة الأخيرة فيه ، يعبر عنها الحث أو الأمر بفعل ما هو على النقيض من الماضى .

فالتنديد بالربا مثلا فى قوله تعالى : « **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** »(١) ٠٠ يمثل المرحلة الأولى فى تطور المجتمع الإسلامى ٠ بينما النهى عنه فى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا ، إن كنتم مؤمنين** »(٢) ٠٠ يصور المرحلة الثانية فى تطوره . أما المرحلة الثالثة فى هذا التطور فيمثلها مثلا : حث المؤمنين على إنفاق أموالهم ، بدلا من تكديسها على حساب شقاء الآخرين عن طريق الربا ،على نحو ما فى قوله تعالى : « **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ، سراً وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٣) . والمرحلة الأخيرة : فرض عبادة الزكاة ، كأدنى حد للإنفاق فى سبيل المصلحة العامة .

وهكذا : إذا كان الربا أمارة المجتمع الجاهلى أو المادى ٠٠ فإن الإنفاق فى سبيل أصحاب الحاجة من الأثرياء فى المجتمع : أمارة المجتمع الإنسانى ، أو المجتمع الإسلامى .

---

(١) البقرة : ٢٧٥ .
(٢) البقرة : ٢٧٨ .
(٣) البقرة : ٢٧٤ .

والشيء .. ومقابله ، فى القرآن ليس ناسخاً ومنسوخاً . بل هما منهى عنه .. ومأمور به . أو خطوتان فى سبيل النهى .. أو فى سبيل الأمر ، حسب المستوى فى التهيؤ النفسى الذى وصل إليه المجتمع فى حركته ، من : الجاهلى .. إلى الإنسانى .

وهذا البحث – منهج القرآن فى تطويع المجتمع – لتوضيح التطور فى تكوين المجتمع الإسلامى ، حسب نزول الوحى المدنى ، قصداً إلى إبعاد مايسمى : ناسخاً ، ومنسوخاً ، فى رسالة الإسلام التى أرسل بها رسول واحد ، كانت هذه الرسالة : القرآن .. أو التوراة .

أما الناسخ والمنسوخ فى رسالة الإسلام على مدى تاريخ الرسالة الإلهية : فإنه يقع بين رسالة رسول ، ورسالة رسول آخر . إذ الرسالة التالية قد تلغى بعض ما فى رسالة سبقتها ، لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى .

ودور الاسلام فى تطويع المجتمع هو دور نفسى .. واجتماعى . يهيء النفوس لقبول الوضع التالى ، لوضعها القائم ، إلى أن يتحقق الهدف . ويغير ظواهر المجتمع من طابع إلى طابع آخر .

وإذ يعتمد منهج القرآن على التطوير : فإنه ينفر من الإلزام الخارجى .. ويرى أن تلتزم النفوس من ذاتها بما تؤمر به ، أو تنهى عنه ، بعد أن تكون قد استعدت لقبول هذا .. أو ذاك .

وهذا البحث لا يدعى أنه استوعب كل ما نزل فى القرآن فى الوحى المدنى ، فى فصول الكتاب الستة ، وإنما هو محاولة للتفسير الموضوعى للقرآن الكريم : تقدم للقارىء موضوعاً معيناً وتوضح له : أهم جوانبه وما نزل فى القرآن فى نظرته إلى هذه الجوانب .

والله الموفق .

محمد البهى

القاهرة :

مصر الجديدة فى ١٣ من ربيع الثانى سنة ١٣٩٣ هـ

١٦ من مايو سنة ١٩٧٣ م